المجلة العربية
للدراسات الانسانية والاجتماعية
Arab Journal of Humanities and Social Studies
العدد (2)
ديسمبر 2024
Volume (2)
December
2024

فكرةُ الوِلايةِ عند الفيروزآبادي (ت:622هـ)

عبدالمجيد أحمد جبار
ماجستير في الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، جمهورية مصر العربية
البريد الالكتروني: Saedmajed1972@gmail.com

الملخص
هذا البحث يُبْرِزُ موضوعَ [فكرة الولاية] ويُبيّنُ رأي أحد أبرز المتصوفين في عصره ألا وهو الفِيروزآبادي (ت:622هـ) فهو واحد من علمائنا السابقين الذين أفنوا عمرهم في سبيل العلم والمعرفة وصرفوا جُلَّ وقتهم في سبيل الكتابة والتأليف، وله كتب في مجال علم الكلام والتصوف والأخلاق ومن خلال اطلاعي على كتبه توصلتُ إلى أنَّ معظم مؤلَّفات الفيروزآبادي لم يُحقَّقْ بعدُ. ومِن أبرز ما يميّز هذا العالِم من غيره هو موضوع الولاية لأنَّه له آراء ينبغي أن نتعرَّف عليها كباحث ونُطلِعَ القراء على هذه الآراء ونُبيّنَ ما هو حسنٌ وما هو غير ذلك ولأنَّ موضوعَ الولاية هامٌّ وكُتُبُ العقيدة بأسرها لا تخلو من موضوع الولي والولاية, ويقول الله سبحانه وتعالى:[أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ] ونركِّزُ على الفرق الشاسع والبيّن بين رأي الفيروزآبادي وغيره من أعلام التصوف الإسلامي ويتكوّن البحث من مبحثينِ.
المبحث الأول : تعريف كامل بالفيروزآبادي.
المبحث الثاني: رأي الفيروزآبادي في فكرة الولاية.

الكلمات المفتاحية: الفيروزآبادي, فكرة الولاية.

العدد (2)
ديسمبر 2024
Volume (2)
December
2024
المجلة العربية
للدراسات الانسانية والاجتماعية
Arab Journal of Humanities and Social Studies

Authority Idea of Alfyrouz Abady (D: 622A H)

AbdulMajeed Ahmed Jabbar
MSc in Islamic Philosophy, Faculty of Dar Al Uloom, Cairo University, Egypt
Email: Saedmajed1972@gmail.com

ABSTRACT

This study would be entitled Authority Idea of Al-Fayrouz Abady (D: 622A H). This study is divided into two sections are preface and two parts.

In preface: He is speaking and explaining the lives of Al-Fayrouz Abady , his (name, birth, famous name, title, professors, students, scientific configuration, flights scientific). As we see in the preface the age of Al-Fayrouz Abady that he lived. The researcher explains this era of all scientific, cultural and scientific aspects. The researcher explained the way of Al-Fayrouz Abady in scientific and described it as morality.

The first part talks about guest in the area of full-time of worship (mysticism) and stages of this full-time. It also

explains Al-Fayrouz Abady researcher in the courtyard, unity, and worship center.

In part two: The researcher speaks of the idea of the mandate at Al-Fayrouz Abady. This part speaks of the definition of terms, the difference between loyalty further, and further creature creator. It also speaks of goods of God lovers and the prophets.

Keywords Al-Fayrouz Abady, Authority Idea for Al-Fayrouz Abady.

المجلة العربية
للدراسات الانسانية والاجتماعية
Arab Journal of Humanities and Social Studies
العدد (2)
ديسمبر 2024
Volume (2)
December
2024

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعدُ. . . .

فإنَّ أنماط الدراسة متنوعة منها دراسة رأي لشخصية معينة وهي من الجوانب المهمة والبارزة خصوصاً في قسم الفلسفة الإسلامية، ومعلوم أنَّ المسلمين لهم تراث إسلامي ثري قد لا يوجد لدى الملل والأديان بهذا القدر الهائل. ولو نظرنا إلى تراثنا لوجدنا أن القسم الأكبر لم يحقق بل بقيت المخطوطات على الرفوف كما هي. وهذا ما يعرضه للضياع والتلف، لذا نحن كباحثينَ علينا أن نحاول جاهدين للحافظ على هذا التراث الثمين والكنز الغالي، ولكي نبرز جهود علمائنا الأفاضل رأيتُ من الواجب أن أركز على رأي الفيروزآبادي (ت:622هـ) واحد من علمائنا السابقين الذين أفنوا عمرهم في سبيل العلم والمعرفة وصرفوا جُلَّ وقتهم في سبيل الكتابة والتأليف، وله كتب في مجال علم الكلام والتصوف والأخلاق .

وسبب اختياري لهذا الموضوع(فكرة الولاية عند الفيروزآبادي) يأتي للرغبة الشديدة لي في إبراز رأي علماءنا الكبار في قضايا تهم المسلمين والإطلاع على مؤلفات السابقين في القرون المنصرمة.

والموضوع له أهمية خاصة بنظري, هذا مما جعلني أختار هذا العنوان وأقوم بجمع آرائه في موضوع [الولاية] في بحث علمي.

المبحث الأول: تعريف بالفيروزآبادي

أولاً: مَنْ هو الفيروزآبادي

اســمــه:

محمد بن إبراهيم بن أحمد بن طاهر بن محمد بن طاهر، كما وَرَدَ في مقدمة كتابه المحقَّق(الإعانة على دفع الإغانة) ووَرَدَ بنفس الشكل أيضاً في كتابه(تذكرة مناهج السالكين وتبصرة مباهج العارفين)الموجود في(معهد المخطوطات العربية)بالقاهرة، تحت رقم الميكروفيلم/99, ووَرَدَ اسمه بهذا الشكل(محمد بن إبراهيم بن أحمد بن طاهر بن محمد بن طاهر بن أحمد).

ولادته:

لم يستطع المترجمون له تحديد تاريخ ولادته بالضبط، بل قدَّر كل مَن ترجم له ـــ بتاريخ حتى إنَّ الفيروزآبادي لم يعلم تاريخ ولادته بالتحديد, يقول الفاسي: بأن مولده كان في سنة عشرين وخمسمائة(520هـــ) تقريباً، (الفاسي ، 1986، صفحة 393–394)

ويقول الزِرِكْلي: إنه ولد سنة ثمانٍ وعشرين وخمسمائة(528هـــ) ـــ (الزركلى، 1980، صفحة 5/296)

نسبه:

تعددت وتنوعت نسبه التي يعرف بــها؛ فتارة ينسب الى بلده الذي ولد فيه ونشأ، وتارة إلى موطنه الأصلي، وتارة إلى قوميته، وتارة أُخرى إلى مذهبه الفقهي وتصوفه منها ومن هذه النسب التي ينسب إليها:

ـــ الفيروزآبادي: لقَّب به نفسَه في كتابه المخطوط(جمحة النهى) نسبةً إلى فيروزآباد. (اليافعي، 1977، صفحة 4/ 43– 42)

التمييز بين [الفيروز آبادي] وصاحب القاموس المحيط

وللتمييز بين الفيروزآبادي وبين صاحب القاموس الملقب بالفيروزآبادي أيضاً الذي ولد سنة(729ـــ817هـ)، نقول: الفيروزآبادي الذي قمتُ بدراسة رأيه عن الولاية هو سابق زمنياً بقرنين تقريباً على الفيروزآبادي صاحب القاموس (ت/817هـ) واسمه الكامل: محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر مجد

الدين، المشهور بصاحب القاموس المحيط. وله كتب أخرى باسم:بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز, (الزركلي، صفحة 7/147) .وتنوير المقباس من تفسير ابن عباس

كنيته:

يُكَنَّى الفِيروزآبادي بكنية واحدة فقط وهي:(أبو عبدالله) لأن على غلاف جميع كتبه وردت هذه الكنية وذكر ذلك المترجمون له و وَرَدَتْ هذه الكنية في لوحة الغلاف لكتابه (الإعانة على دفع الإغانة)وجاء أيضاً على غلاف كتابَيْهِ (الرسالة الفاغية بأرج الفرقة الناجية من بين الطوائف الطاغية) و(تلقيح القرائح وتنقيح القوادح) وجاء على غلاف كتابيه (سَلوة المسافر وحلوة الخاطر) و(تذكرة مناهج السالكين وتبصرة مباهج العارفين) و كتاب(بلغة الفاصل وعروة الواصل) وكتاب(جَمحة النهى من لمحة المها).

موطنه:

الفيروزآبادي ينتسب الى بلدة (خبر سروشين) وهي بلدة صغيرة واقعة بالقرب من "شيراز" في إيران , (البغدادي، 1954، صفحة 1/450) ويقول المنذري: سألت الفيروزآبادي عن مولده ومكان ولادته؟ فقال: لي اليوم خمس وثمانون سنة تخميناً لا يقيناً؛ وقال أيضاً: "نحن من خَبْرِ سروشين". وسافر إلى دمشق ابتغاء طلب العلم في السابع والثلاثين من عمره، ثم سافر إلى مصر فأقام بها حتى آخر عمره فتوفاه الله في القاهرة ولم يستطع الرجوع إلى بلده الذي ولد فيه.

وفـــاتـــــه:

توفي الفيروزآبادي سنة(622هـ) اثنتين وعشرين وستمائة للهجرة النبوية، هذا ما اتفق عليه جميع المؤرخين والمترجمين له، إلا أنهم اختلفوا في تحديد يوم وفاته؛ المنذري ــ وهو تلميذ الفيروزآبادي ــ والذهبي ذهبا إلى أنه توفي في السادس عشر من شهر ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وستمائة، ودُفِنَ بمعبد ذي النون المصري في القاهرة.

وأما اليافعي فيذكر في كتابه " مرآة الجنان" انه توفي في الثامن من ذي الحجة. ويقول الفاسي في كتابه " العقد الثمين": أنَّه توفي ليلة الجمعة الرابع عشر من ذي الحجة .

والراجح هو ما ذهب إليه المنذري والذهبي، أي: أنه توفي في السادس عشر من شهر ذي الحجة، وفي كتاب "تربة الفخر الفارسي" منقوش على قبر الفيروزآبادي التاريخ المذكور لوفاته ــ والله أعلم , (يوسف، 10922، صفحة 7).

المبحث الثاني
فكرة الولاية عند الفيروزآبادي

تمهيد

فكرة الولاية غطت مساحة واسعة في الكتب التي تُعنى بشأن التصوف, والصوفية اهتمت كثيرا بهذا الموضوع وألَّفوا في سبيل ذلك مؤلفات عديدة بحيث لا تعد ولا تحصى وذكروا فيه تعريف الولي ومعنى الولاية وكتبوا عن كرامات الأولياء ووصْفِ الولي وعلامات الولي وخطورة من يعادي الولي والكرامات وربما تعصب بعضهم في المسألة وزلت أقدامهم بسبب التشدد والتعصب لما يراه ويعتقده فادَّعى أناس, أنهم من الاولياء وليسوا منهم وضيقوا معنى الولي في زاوية واحدة وهي: كل من جلس في بيته والتف الناس حوله فهو شيخ وولي, ناسين أن معنى الولي أوسع بكثير وإذا أنكر عليهم واحد ردوا عليه بقول الله تعالى:[أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ]سورة يونس: رقم الآية/62

ومن جانب آخر هناك جمع اهتموا بمسألة الولي والولاية ولكن ميَّزوا بين الولي الحقيقي وبين من يدعي الولي والولاية لكي لا يختلط الحابل بالنابل وشرحوا وبيَّنوا وفصَّلوا القول وفَّسروا الآيات التي تتحدث عن معنى الولي والأحاديث التي تتحدَّثُ عن كرامات الولي سواء كان من أمة محمد أو في الأديان السابقة, وأحاول جاهدا في هذا المبحث أن أتمكن من إعطاء الموضوع حقه وأبين رأي الفيروزآبادي في هذه المسألة. والباحثون لم يقصروا في الكتابة عن هذا الموضوع فأوضحوا الغامض وبينوا المشكل.

إن الباحثين انقسموا فيما بينهم في المسائل التي تتعلق بالتصوف إلى قسمين: قسم أبدوا حبهم الشديد للتصوف ولم يراعوا في ذلك الأسس التي يجب أن تُبنى عليه الأبحاث العلمية, والقسم الآخر نظروا إلى التصوف والصوفية في زاوية ضيقة ولم يتمكنوا من وضع النقاط على الحروف لكي لا يعمم الحكم على طائفة فيهم مَن هو خدم الإسلام والمسلمين وبذلوا في سبيل ذلك الغالى والنفيس.

أولاً: الولي والولاية

الولي لغة: القرب والدنو والمطر بعد المطر, والولي الاسم بمعنى المحب والصديق والنصير, وتولاه أي اتخذه ولياً.الفيروزآبادي:4 القاموس المحيط/404, والولي: ضد العدو والموالاة ضد المعادات والولاية بالكسر, (ابن فارس، 1986، صفحة 6/141) وفي مقاييس اللغة : الولي: القرب, والولي المطر بعد الوسمي.

الولاية: " هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، وذلك بتولي الحق إياه حتى يبلغه غاية مقام القرب والتمكين".القاشاني:ص:54

والولي اصطلاحا: هو" مَن تولى الحقُّ أمرَهُ، وحفظه من العصيان، ولم يخله ونفسه بالخذلان حتى يبلغه في الكمال مبلغ الرجال" قال الله تعالى: [إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ]سورة الأعراف:196

معاني الولاية والولي في القرآن:

وردت لفظة (الولي) ومشتقاته (90) مرة, منها (54) في جانب اولياء الله, و(36) مرة في جانب أعداء الله وهم الذين تولى الشيطان أمرهم والذين ظلموا أنفسهم, وللولاية معانٍ عديدة:

المعنى الأول: الولاية العظمى: وهي ولاية الله على بعض عباده ومنه قوله تعالى:[ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ]ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ]سورة البقرة:257, وقال تعالى:[هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا]سورة الكهف:44, وكل ما ورد في القرآن من حصر الولاية في الله تعالى فالمراد به تولي الله أمور العباد فيما لا يصل إليه سعيهم وكسبهم.

المعنى الثاني: ولاية النبي ﷺ للمؤمنين كما قال تعالى:[ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا]سورة الأحزاب:6

ويقول الرسول ﷺ:(أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم), وفي رواية أخرى(ما من مؤمن إلا وانا أولى الناس به في الدنيا والآخرة) (البخاري، 1989، صفحة 2/805) وفي مقابل ذلك تبرَّأ رسول الله ﷺ ممن زعم أنه من أوليائه إذا كان مشركاً, فيقول:(إنَّ آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء إنما وليي الله وصالح المؤمنين) (البخاري م.، 1989، صفحة 5/2233) .

المعنى الثالث: تحريم اتخاذ الكافرين أولياء ولو كانوا أولي القربى من أب أو أخ أو عشيرة, قال تعالى:[لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ] سورة آل عمران:.28

المعنى الرابع: ولاية الظالمين للظالمين. قال تعالى: [إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ]سورة الجاثية:19

المعنى الخامس: ولاية الشيطان والطاغوت للكافرين كما قال تعالى:[يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ]سورة الأعراف:27

الفرق بين ولاية الخالق وولاية المخلوق

هناك فرق بين الولايتين (ولاية الله وولاية المخلوق), لأن ولاية الله تعني إخراج العباد من الظلمات إلى النور كما قال تعالى: فى ولايته للكافرين الذين لم يرضوا بالله ربا بل اتخذوا الطاغوت وليا لهم, ولا يخفى علينا أن ولاية الطاغوت ولاية زائفة وغير مُجْدِية, كما قال تعالى: [ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ]سورة محمد:11 . وأمر رسول الله ﷺأن يجيبوا أبا سفيان في معركة أحد(الله مولانا ولا مولى لكم) فولاية الله: نصرتهم وإذهاب الخوف عنهم وتبديد الحزن من نفوسهم. (الشنقيطي، صفحة 1/158)

ولاية الشيطان

الفرق الشاسع والبيّن أنَّ ولاية الله لعباده ينفعهم في الشدة ويتلقون التأييد والنصرة من الله, أما ولاية الشيطان فهي ولاية مزيفة كاذبة لا تأييد فيها ولا نصرة بل فيها الذلة والمهانة في أوقات الشدة التي يحتاج العبد فيها إلى ولاية حقيقية, إذن ولاية المخلوق أو العبد لله ولاية حاجة واستنصار ولا يُخْرِجُ العبدَ من الظلمات إلى النور إلا بالتسليم الكامل لأوامر الله.

وبيَّن اللهُ تعالى صفة أوليائه بصفتين أساسيتين هما: الإيمان والتقوى فهما أصل لولاية الله "وبحسب إيمان المرء بالله وتقواه لله تكون درجته في الولاية فمن كان أكمل إيمانا وأكثر تقوى كان أكمل في ولايته وقربه من ربه". (الجليند، 2001، صفحة 148) .

ثانياً: تعريف الفيروزآبادي للأولياء

عرف الفيروزآبادي الأولياء بتعريفات عديدة في كتبه فيقول:" الأولياء, هم صفوة الله من عباده أكرمهم اللهُ بنعت الفقر وخصَّهم بالكرامة، وأعطاهم الله ما شاء من العلم والمعرفة به، ووفقهم لأحب الأعمال اليه، وهم الذين لا يسألون من الله غير الله، ويسألون الله بلسان الافتقار".

ويقول الفيروزآبادي " الولي مَن لا يسأل مِن الله غير اللهِ وإذا سأل سأل بلسان الافتقار حتى يتم نوره الفائق على سائر الأنوار وتصح له لطافة الوصلة بين أوصال سُها الولاية وبين جمال شمس الفقر". **ويقول أيضا:"** نهاية التصوف بداية الولاية، ونهاية المريد تكون بداية المتصوف، ونهاية المتصوف بداية الولاية، ونهاية الولاية بداية الفقر. . . ".

في هذه التعريفات يتبين لنا أن الفيروزآبادي يجعل الولي أعلى مرتبة من المتصوف, أن المتصوف عليه أن يجتاز المراحل الأولى حتى يصل إلى مرتبة الولي.

ويقول أيضاً: "ظهور حكم الفراسة إما لاستدراج الأعداء إلى نهاية الأبعاد، وإما لإكرام الولي وجلبه إلى نهاية الإسعاد ". ويعتقد الفيروزآبادي أن الفقر والفقير أفضل من الولي والولاية لأن مقام العاشر " الفقر" هو نهاية الولاية وبداية الفقر، أورد هذا في كتابه " الإعانة على دفع الإغانة" في اللوحة:37. ويقول الفيروزآبادي: " آخر ما يكرم اللهُ به الأولياء إكرامهم بنعت الفقر. ويقول أيضاً: " دائرة الولاية لا تكمل إلا بالفقر لأن الفقر نقطة مركزها"

وقد عُرِّفَ "الفقر" بعدة تعريفات لكنني أذكر ما قاله إبراهيم الخواص(ت: 291هـ) وأورده السراج الطوسي(ت: 378هـ) في كتابه "اللمع" فقال: "الفقر رداء الشرف، ولباس المرسلين، وجلباب الصالحين، وتاج المتقين، وزين المؤمنين، وغنيمة العارفين، ومنبه المريدين، وحصن المطيعين، وسجن المذنبين، ومكفر السيئات، ومعظم الحسنات، ورافع للدرجات، ومبلغ إلى الغايات، ورضا الجبار، وكرامة لأهل ولايته من الأبرار، والفقر هو شعار الصالحين (الطوسي، 1960، صفحة 74)

والفقراء هم: طائفة تركوا أسباب الدنيا لطلب الفضل والرضوان، فتركهم لا يخلو عن ثلاثة مقاصد: **أولها:** رجاء تخفيف الحساب، أو خوف العقاب، لأن الحساب في الحلال، والعقاب في الحرام. **ثانيها:** توقع فضل الثواب، والمسابقة إلى دخول الجنة قبل الأغنياء، بخمسمائة عام. **ثالثها:** طلب جمعية الخاطر، لإكثار العبادة

وحضور القلب فيها (الجامي، 1989، صفحة 19)

ثالثاً: علامات الأولياء عند الفيروزآبادي:

للأولياء علامات ـــ عند الفيروزآبادي ـــ ذكر هذه العلامات في كتابه المخطوط "الإعانة على دفع الإغانة" في اللوحة/49، فيقول: " وعلامات الأولياءِ أن تكونَ الطاعةُ حلاوتهم، وحب اللهِ لذاتهم، وآلاء اللهِ حجتهم، واللهُ حافظهم، وهو بضاعتهم ومعه تجارتهم، وعليه اعتمادهم، وبه أنسهم، وعليه توكلهم، والجوع طعامهم، والزهد ثمارهم، وحُسْنُ الخلقِ لِباسهم، وطلاقة الوجهِ حليتهم, وسخاوة النفسِ حرفتهم، وحُسْنُ المعاشرةِ صحبتهم، والعلمُ قائدهم، والصبرُ سائقهم، والتقوى زادهم، والهوى مركبهم، والقرآن حديثهم، والشكر زينتهم، والذكر رايتهم، والرضا راحتهم، والخوف سجيتهم (الرازي، 1999، صفحة 1/121) , والليل فكرتهم، والنهار عبرتهم، والدنيا مزابلهم.والشيطان عدوهم، والحياة مراحلهم، والموت منزلهم، والقبر حِصنهم، ويوم القِيامةِ عيدهم، والوقوف بين يدي اللهِ قُرَّةُ أعينهم، وفي ظِلِّ العرشِ مجلسهم، وفي الفردوس مسكنهم، ومع الأنبياءِ صحبتهم والنظر إلى رب العالمين مُنْيَتُهُم، والفقر كرامتهم".

وأورد الفيروزآبادي في كتابه"الإعانة على دفع الإغانة " قول أبي بكر الواسطي(ت: 320هـ) عن الأولياء وهو: " إن الله يغذي الولي في صباه بإشارته، وفي حداثته بعبادته، وفي الكهولة يستره بألطافه ويجذبه إلى ما سبق من نعوته وصفاته ثم يذيقه طعم قيامه به في أوقاته". ثم أردفه بقوله: قال الغريب: " ثم يكاشفه إلى طلوعِ نجم الصباحِ وكأس الإصطباح مِن أفق عالمِ الفقر المختصِّ بذوي النبواتِ، فيرتدي الولي برداء الفقر، ويحرم عما سواه ويُلَبِّي بتلبية الفقراءِ".

يرى الفيروزآبادي أنَّ علامة الولي منذ صغره يكون برعاية الله وفي شبابه يشغله الله بعبادته ويحفظه عندما يبلغ سن الكهولة ويحفظه ويكرمه بالكرامات, ويرى أن الولي يبلغ مرتبة الفقر الذي هو صفة الأنبياء فيُلْبِسُهُ اللهُ لباسَ الفقر.

رابعاً: كرامات الأولياء

من رحمة الله تعالى أن بعث اللهُ الأنبياء والرسل إلى الناس بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله لكي يرشدوا الناس ويعلموهم الحكمة، وأيد الله الأنبياء بالمعجزات لتصديق ما يدعون وليكون دليلا على صدقهم، ويظهر الله الكرامة لأوليائه منحة وكرامة لهم في دار الدنيا، والمعجزة يظهرها الله تعالى على أيدي أنبيائه مقرونا بدعوى النبوة، أما الأولياء فإظهار الكرامة ليست متعينة على الأولياء فلا يجب عليهم إظهارها.

وبما أن الكرامة لها علاقة بالولي والأولياء في كونها أموراً خارقةً للعادة أرى من الواجب أن أقدم تعريفا للكرامة كما عرفها الصوفية.

والكرامة لغة: من كرم بمعنى شرف في الشيء، ورجل كريم، والكرم ضد اللؤم (ابن منظور، 1968، صفحة 12/511).

الكرامة في اصطلاح أهل التصوف:

بما أنَّ البحث مخصص لآراء الصوفية عند الفيروزآبادي عُرِّفَتِ الكرامة بتعاريف كثيرة لكني فضلتُ أن أقدم تعريفها على لسان الصوفية القدماء دون التطرق إلى تعريفات أخرى منها:

1ـ ليقول سهل بن عبدالله التستري(ت: 293هـ): الآيات لله، والمعجزات لأنبياء، والكرامات للأولياء (الطوسي، 1960، صفحة 190)

2ـ يقول الجرجاني(ت:816هـ): "هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة فما لا يكون مقرونا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجا، وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة" (الجرجاني، 1983، صفحة 1/235) وتناول الفيروزآبادي مسألة الكرامة فقال: "الكرامة, هي أفعال الله الخارقة للعادات في حق الأولياء، وهي جارية على حسب الاختيار وغيره عند مجوّزيها، كمعاريج النبي وعيسى، وقصة أصحاب الكهف، واختصاص أم موسى بالوحي، ومريم ابنة عمران، والآيات التي صادفتها من فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، واجتنائها الرطب من النخلة اليابسة، والآيات التي ظهرت عند ولادة رسول الله ﷺ، فإنها كلّها كرامات من أفعال الله وإكرامه عباده بها، غير مقترن بدعوى النبوة، واستمرار وقوع أمثالها

في كل وقت جائز في قدرة الله، إذ مقدورات قدرته غير متناهية، وليس فيها وجه للاستحالة والوجوب، بل من الجائزات العقلية، ولا يؤدّي إلى القدح في الإلهيات، ولا قادحة في معجزات الأنبياء.
والدليل على إثبات الكرامات إخبار الله تعالى في كتابه عن قصة مريم وزكريا، وولادة عيسى ونطقه في الطفولية، وقصة أصحاب الكهف. والفرق بينها وبين المعجزة: أن المعجزة تقترن بدعوى النبوة بها عند التحدي دليلا على مدعيها، وبانتفاء شرطها تعد كرامة

خامساً: مكانة الأولياء من الأنبياء:

اختار اللهُ الأنبياءَ لحمل رسالة كبيرة وأمرهم بتبليغها إلى الناس جميعاً دون فرق بين الأسود والأبيض أو القريب والبعيد, وأكرمهم وأيدهم بالمعجزات دليلاً على صدقهم وإظهار هذه المعجزات أمر لا يجوز إخفاؤها , والانبياء هم صفوة الله من خلقه ولا أحدَ من البشر يبلغ مرتبتهم وفضَّلهم الله على الخلق جميعاً. في الصفحات الماضية عرَّفْتُ الأولياء وفصلنا القول في ذلك وتجنباً للتكرار أقوم بتعريف كلمة النبي والرسول والفرق بينهما.
النبي: لغة, هو من النبوة أي الرفعة, وسمي نبيا لرفعة محله عن سائر الناس, وسمي النبي منبئاً بما تسكن إليه العقول الزكية, والنبي في اللغة فعيل من مادة النبأ, بمعنى الخبر المهم العظيم الشأن, والنبي هو مَن أنبأ أي أخبر (ابن منظور، 1968، صفحة 1/162). والنبي : هو الذي يخبر عن الله فهو مخبر أي أنَّ الله أخبره فهو مخبَر ومخبِر (الأشقر، 1989، صفحة 1/13) .
يعتقد الفيروزآبادي أن منزلة النبوة أجلُّ وأشرف من منزلة الولاية، وأنه لا يفضل الولي على نبي من الأنبياء بأي شكل من الأشكال، يقول في كتابه "الإعانة على دفع الاغانة": وظن بعض السلامتية أن الولاية أجل وأشرف من النبوة وحال أولي الولاية أفضل من حال أولي النبوات، ويسندون دعواهم إلي: ـــ رجوع موسى إلى خضر بإخبار الله عنهما:[فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا]سورة الكهف: الآية/65 وليس الخضر من الأنبياء.
ـــ وإلى إنعام الله على مريم بنت عمران دون زكريا وليست هي بنبيةٍ.
ـــ وإلى آصف بن برخيا وعلمه بالكتاب وإتيانه بعرش بلقيس إلى مجلس سليمان قبل رجوع الطرف إليه وليس آصف بنبي.
ـــ وإلى عمر بن الخطاب ونطقه عن الله وليس بنبي، وما أعطى اللهُ هذه الخصال العزيزة للأنبياء.
ويرد الفيروزآبادي على القائلين بأفضلية الأولياء على الأنبياء؛ من ثلاثة وجوه: فيقول: "والجواب من وجوه:
الوجه الأول: أنَّ المعجزات والكرامات كلها أفعال لله خارقة للعادات محدثات قد أحدثها اللهُ للأنبياء حجةً على الخلق والأولياء لهم من الخلق المرسَلين إليهم، وأحدث الكرامات للأولياء محجةً لهم وكرامةً عاجلةً في الدنيا بسبب ذهابهم عما سوى الله بالله.
الوجه الثاني: الحدود قاطعة بدابرة الجهالة إذ كل نبي ولي وليس كل ولي نبياً.
الوجه الثالث: ما يظهر للأنبياء فبعيانهم صفات الله، وما يظهر للأولياء فهي أفعال الله من آثار صفات الله وأحكامها، وحكم الصفات تابع للصفات، وأهل أحكام الصفات تابع لأهل عيان الصفات" .
تبين لنا أن الفيروزآبادي لا يُفَضِّلُ الأولياءَ على الأنبياءِ ـــ كما يعتقد بعض الصوفية ـــ وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة أن الأنبياء هم أفضل الخلق من بين بني البشر وأنه لا يُفَضَّلُ أحد على الأنبياء. وبالرغم من كون الفيروزآبادي من قدماء الصوفية لكنه لم يتأثر بفكرة تفضيل الولي على النبي, وهذه الفكرة كانت قد أثرت على بعض الصوفية وزلت أقدامهم.

الخاتمة والتوصيات

وفي الختام أذكر بعض النتائج مما توصلتُ اليها في بحثي هذا:
الحمد لله الذي أكرمني بإتمام هذا البحث الذي دار حول فكرة الولاية عند الفيروزآبادي وقد حاولتُ جاهداً أن أعطي حقه من خلال هذا البحث وبدا لي أن الفيروزآبادي صرف جل وقته في سبيل التعلم والتعليم , وفي نهاية البحث توصلتُ إلى نتائج أبرزها:

1ـ الفيروزآبادي كان فارسي الأصل لأن مولده في بلدة صغيرة بالقرب من شيراز في إيران, وبدأ حياته ـــ بعد أن بلغ سن الرشد والتمييز ـــ بطلب العلم في بلده الذي ولد فيه, ومن ثمَّ بدأ برحلاته العلمية بعد أن جمع في مسقط رأسه قدراً كافياً من العلم ما يؤهلِّه لطلب العلم في خارج وطنه.
2ـــ استدلَّ الفيروزآبادي لتعزيز آرائه الصوفية بآيات من القرآن الكريم لكنه كان يميل إلى التفسير الإشاري .
3ـــ يجب التمييز بين الفيروزآبادي الذي درستُ حياته وشخصيته وبين الفيروزوآبادي صاحب القاموس المحيط كلاهما يُنسبان إلى (الفيروزآباد) لكن الشخصيتين تختلفان عن بعضهما.

التوصيات:

الفيروزآبادي توفي وترك بعده آثاراً من مؤلَّفاته فمنها ما هو موجود ومنها ما هو مفقود ولو قام باحث بتحقيق رسائله فلا شك أنه يستفيد من أسلوب وخبرات المؤلف له كتاب باسم (الرسالة الفاغية بأرج الفرقة الناجية)حجمه يشفع كي يكون موضوعاً لرسالة علمية لذلك أوصي الطلبة والقراء الأعزاء الذين لهم رغبة في تحقيق المخطوطات أن يقوموا بتحقيق الكتاب المذكور فهو يتضمن العقيدة والتصوف, وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

المراجع

1. أحمد يوسف. (1922). *تربة الفخر الفارسي*. القاهرة.
2. أبو البركات عبدالرحمن الجامي. (1989). *نفحات الأنس من حضرات القدس*. القاهرة: الأزهر الشريف.
3. أبو محمد اليافعي. (1977). *مرآة الجنان وعبرة اليقظان في عبرة ما يُعتبَرُ من حوادث الزمان*. بيروت ـ لبنان: دار الكتب العلمية.
4. أبو نصر السراج الطوسي. (1960). *اللمع*. القاهرة: دار الكتب الحديثة.
5. أحمد ابن فارس. (1986). *مجمل اللغة*. بيروت: مؤسسة الرسالة.
6. اسماعيل باشا البغدادي. (1954). *ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*. بيروت ـ لبنان: دار إحياء التراث العربي.
7. البخاري. (1989). بيروت: دار البشائر الاسلامية.
8. الزركلي. (بلا تاريخ). *الأعلام*.
9. تقي الدين الفاسي . (1986). *العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين*. بيروت ـ لبنان.
10. خيرالدين الزركلى. (1980). *الأعلام*. بيروت ـ لبنان: دار العلم للملايين.
11. علي بن محمد بن علي الجرجاني. (1983). *التعريفات*. بيروت: دار الكتب العلمية.
12. عمر سلمان الأشقر. (1989). *ارسل والرسالات*. الكويت: دار النفائس ـ مكتبة الفلاح.
13. محمد الأمين الشنقيطي. (بلا تاريخ). *الشنقيطي*. بيروت: دار الفكر.
14. محمد السيد الجليند. (2001). *من قضايا التصوف*. القاهرة: مكتبة الوهبة.
15. محمد بن اسماعيل البخاري. (1989). *الادب المفرد*. بيروت: دار البشائر الاسلامية.
16. محمد بن عمر الخطيب الرازي. (1999). *مختار الصحاح*. بيروت: المكتبة العصرية.
17. محمد بن مكرم ابن منظور. (1968). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.